

التكامل الثقافي وأثره في البناء المعرفي لشخصية الفرد

Cultural integration and its impact on the cognitive construction of the individual's personality

نصر الدين بن سراي

محمد لمين دباغين سطيف 2 / الجزائر / n.benserai@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/06 ؛ تاريخ القبول: 2023/07/07 ؛ تاريخ النشر: 2023/12/20

Abstract

الملخص

This scientific paper includes talk about the cognitive methodology, which seeks to establish the integrative culture of the individual by taking into account the scientific methods to devote this vision, focusing on all educational stages of the individual. Indicating the philosophy of the educational curriculum that every vision aspires to, and its impact on the human being for the purpose of forming a personality that is both culturally and psychologically integrated, and that aspires to communicate with the world in light of globalization that has permeated all human knowledge. Creating for itself the ideal model in human education and education, which includes fragmentary perceptions of knowledge and science separating the boundaries of each discipline, and in order to clarify this, we put this general dilemma that we are trying to answer in this intervention, which is as follows: To what extent do educational curricula contribute to educational institutions for the establishment of cultural construction integrated for the individual? What are the procedural mechanisms that can be adopted to create this?

Keywords : Integration, culture, structure, knowledge, methodology.

تتضمن هذه الورقة العلمية الحديث حول المنهجية المعرفية، التي تسعى لتأسيس الثقافة التكاملية للفرد من خلال مراعاة الطرق العلمية لتكريس هذه الرؤية، مركزة على جميع الأطوار التعليمية للفرد. مبينة لفلسفة المنهاج التعليمي الذي ترومه كل رؤية، وأثر ذلك على الإنسان لغرض تكوين الشخصية السواء المتكاملة ثقافيا ونفسيا، والتي تتطلع للتواصل مع العالم في ظل العولمة التي انسربت إلى جميع المعارف الإنسانية. صانعة لنفسها النموذج الأمثل في تربية الإنسان وتعليمه، والمتضمنة لتصورات تجزئية للمعارف والعلوم، فاصلة بين تخوم كل تخصص، ومن أجل توضيح ذلك وضعنا هذا الاشكالية العامة التي نحاول الإجابة عنها في هذه المداخلة وهي كالاتي: إلى أي مدى تساهم المناهج التعليمية في المؤسسات التربوية لتأسيس البناء الثقافي المتكامل للفرد؟ وما الآليات الإجرائية التي يمكن اعتمادها لتكوين ذلك؟

الكلمات المفتاحية: التكامل، الثقافة، البناء، المعرفة،

المنهجية

1. مقدمة:

تتعدد المعارف والعلوم وتختلف في طرائق البحث عن الحقيقة، ومن ثمة كانت حاجة العلم دوماً إلى منهجية دقيقة تطوره وتقود الباحث إلى أهم وأفضل وسيلة غائية لإدراك الواقع على ما هو عليه. فبعد النجاحات التي حققها العلم في حقل علوم الطبيعة عن طريق التجريب، قرر أصحاب النظرة العلمية بعد الثورة العلمية، أن البراديجم الأمثل لدراسة كذا معرفة هو الأنموذج المعرفي التجريبي.

فقد كان الركون لهذه الطريقة في البحث الأثر الواسع على المعرفة، وفصل هذه الأخيرة عن بعضها البعض، بعد أن كانت الفلسفة هي المحضن الحقيقي لها، ومن هنا كُرسَت النظرة الجزئية، وبدأت العلوم تتكاثر في سباق حميم مع الإنسان.

إن هذه الرؤية الكمية للعلم أورثت لنا واقعا معرفيا متأزماً، فداخل التخصص الواحد نجد العشرات من التخصصات، وهكذا من العلم الواحد إلى الكثرة المتكثرة بلا حكمة، سوى مزيداً من سيطرة الإنسان على العالم بلا غاية وهدف يقوده للحقيقة.

هذا الواقع المعرفي أثر على تكوين شخصية الأفراد الذين نشأوا في هذه المؤسسات العلمية، كاشفة عن فقدان التكامل العلمي والنفسي، ومن ثمة ضعف إدراك الواقع والتعامل مع القضايا العلمية والفكرية، وفقاً لمنظار أحادي التصور هو: الحقل المعرفي الذي تلقاه من قبل.

إن الرؤية السائدة اليوم في العرف العام في تصنيف العلوم، إلى علوم أساسية مهمة وضرورية، ونظرة ازدياء للعلوم التي تعتبر معارف ثانوية غير مهمة، وهي العلوم الإنسانية والاجتماعية عموماً، حيث يعتبرها أصحاب النظرة العلمية بأنها علوم الأدب، تُنبؤنا هذه الأحكام المُجحفَة، عن فساد التصورات الذي صنعتها النظرة العلمية الدوغمائية.

هذه الأزمة التي أفرزت لنا مشكلات سائلة الذكر، تقتضي منا البحث عن ثقافة التكامل، وإرساء عملية التداخل بين هذه المعارف.

أما بالنسبة لأهم الفرضيات التي ندونها على هذه الورقة العلمية فهي على التوالي:

1- الرؤية العلمية الضيقة سبب في إحداث الشرخ بين العلوم، مما سبب حالة من التأزم

المعرفي.

2- هل للمناهج التعليمية في الأطوار التعليمية، سبب مباشر في انعدام ثقافة التكامل العلمي في تصورات الأفراد؟

وقد ساقنتا هذه القضايا إلى توجيه حزمة من الأسئلة الإشكالية وهي كالتالي :

إلى أي مدى تساهم المناهج التعليمية في المؤسسات التربوية لتأسيس البناء الثقافي المتكامل للفرد؟ وما الآليات الإجرائية التي يمكن اعتمادها لتكوين ذلك؟ ما هو الرأى المناسب لقياس التكامل الثقافي لدى المثقفين؟ هذه الإشكالات العامة تقتضي منا الإجابة على أهم الأسئلة الجزئية التي تخدم هذه الورقة البحثية، ويمكننا أن ندونها على حسب الأهمية وهي على التوالي:

1- ما مفهوم التكامل المعرفي؟ ما المقصود بالتكامل الثقافي وما هي أدواته الإجرائية؟

2- كيف تخدم العلوم البيئية ثقافة التكامل؟ وما مدى مساهمة العلم المعرفي في ذلك؟

3- كيف نصل إلى تكوين الشخصية السواء المتكاملة من خلال إصلاح المنظومة المعرفية؟

2. مصطلح التكامل

2. 1. التكامل بين المنهج والمذهب:

ورد في تعريف المذهب التكاملي بأنه ذلك التصور الذي "يحاول التنسيق بين الحقائق الخاصة بطبيعة الانسان وسلوكه، هو بحكم تسميته، وبحكم مجاله ومنهجه من المذاهب المفتوحة، كما أنه من المذاهب التي تعتمد في نشأتها وتطورها على نتائج التعاون بين الواقع والنظر العقلي"(مراد، 1960)، يشير هذا المعنى بأن التكامل مذهباً هو عملية فكرية منهجية، تسعى لدمج بين التصورات الواقعية؛ بمعنى التجريبية والفكر العقلي النظري، أي الترابط والتواشج الوظيفي بينهما من أجل تحقيق غاية أو فائدة عملية تُرجى، ويكاد يكون هنا المفهوم التكامل قريباً من التصورات الفلسفية البرغماتية التي تجعل للفكر وظيفة عملية في الحياة.

أما من حيث المنهج، فالمنهج التكاملي يروم معناه إلى ذلك الطريق أو السبيل " الذي تسترشد بحوثه بهذه الحركة الدائرية اللولبية، فيحاول جمع التيارات التي تساهم في تكوين ظاهرة من الظواهر الانسانية سواء كانت نفسية أو تاريخية أو اجتماعية أو خلقية أو فلسفية"(سويف و يوسف،

(1966)، ألمح هذا المفهوم إلى أهمية النظرة الكلية والشاملة في فهم الظاهرة، وعدم إيعاز أية ظاهرة إلى سبب جُزي صرف.

2.2. التكامل في دائرة المعارف الغير الفلسفية:

أما في مفهوم التكامل في العلوم الغير الفلسفية فيشير معناه إلى ذلك " الارتباط المتناسق بين مختلف الوظائف الفيزيولوجية. فالجسد العضوي مركب من أعضاء متنوعة، تعود إلى كل منها وظيفة خاصة تقتضي، في الممارسة، المشاركة المتبادلة بين الأعضاء، وتعمل كلها مجتمعة لصالح الجسد الحي بأجمعه. وليس التكامل وضعاً تركيبياً جامداً، بل هو حالة دائمة النشاط تستدعي أفعالاً متوالية مصوبة نحو هدف واحد هو صيانة وحدة الكائن الحي أولاً، ثم الاسهام في إنمائه من مختلف جوانبه" (زيادة، د ت)، فقد أبرز هذا المفهوم إلى النسق الوظيفي العام الذي تجسده الوظائف الفيزيولوجية في الكائن الحي، وكأن هذا الترابط هو صوت الطبيعة في الإنسان والعالم، في شكل تناغم له قصد مهم هو صالحية الحياة المتكاملة للكائن الحي.

2.3. مفهوم التكامل المعرفي في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية:

أما في حل العلوم الاجتماعية فيستخدم الباحثون مصطلح التكامل للدلالة على تلك الرغبة في محاولة مُدافعة ذلك الشطط المعبر عنه في الرؤية العلمية إلى العالم، ل: "تجاوز الفصل بين فروعها المختلفة، وإعادة التأسيس للتداخل والتكامل بينها، ونقصد بالتكامل المعرفي كأداة منهجية؛ دراسة الظواهر الاجتماعية وفق رؤية تكاملية، والأخذ بالمقاربة المنهجية المتعددة بدلاً من واحدة المنهج الوضعي، والاشتغال على التفسير التكاملي للظواهر الاجتماعية والإنسانية" (باشة، 2021)، أي أن التكامل هنا في هذا الميدان يصبح أداة إجرائية ومنهجية يستخدمها أصحاب تلك الرؤية المزدوجة للتعبير عن الموقف السلبي من الرؤية العلمية التجزيئية التي تأخذ النظرة الكمية كمنظار أحادي للعلوم والمعارف، بما في ذلك أيضاً العلوم الإنسانية والاجتماعية.

2.4. التكامل إجرائياً:

كمفهوم اصطلاحى فهو عملية قبل أي شيء تستدعي الحاجة للتعاقد والاجتماع بين عناصر الوجود المتنوعة، وأن العلاقة بين العلوم والمعارف هي علاقة تكامل وتوافق، وأن الطبيعة القائمة بين المنظومات المعرفية ليست منفصلة أم مجزئة، بل تتطافر وتتكامل وتتكاثر، أن النظرة

الحصيفة لأي باحث تكشف عن وجود نظام نسقي واحد يؤلف بين العلوم مع بعضها، سواء كانت في علوم المادة أو علوم الإنسان، فلا مجال إذا لتلك النظرة الأحادية الضيقة التي تريد تنميط العلم وفق بُعد واحد .

3. لماذا التكامل المعرفي بين العلوم ؟ :

على غرار المعرفة اليوم في العالم التي قد فقدت قبلتها ووجهتها النازمة لها، وبعد أن حدث الانقطاع بين العلوم، استبعدت فكرة وجود قناطر بين المعارف، «فالتصور العضوي للعلم هو اليوم بالغ التعاسة لمحاربة التجزئ الفكري. ذلك أننا بفصلنا لكل علم عن المجموع العضوي الذي يعطيه معناه، لا ينيّر نموا إنسانيا للمعرفة وإنما تكاثرا سرطانيا للمعارف الجزئية، منتشرا بصورة عمياء، بدون الوعي بعلاقتها بالكل الذي يعطيها معنى وبغائيتها الإنسانية» (روجيه، الإسلام في الغرب، قرطبة عاصمة العالم والفكر، 1995).

تطلق المنهجية الإسلامية في المعارف كلها على أساس فكرة التوحيد، منه فإن «إحدى الصفات الأساسية للعلوم العربية الناجمة عن هذا المبدأ من الوحدة هي الاعتماد المتبادل بينها: ليس فصل بين العلوم الطبيعية والمرئية من جهة، واللاهوت أو الفنون من جهة أخرى. وليس ثمة حواجز عازلة كذلك بين مختلف العلوم؛ من الرياضيات إلى الجغرافيا، وهذا هو ما يفسر وجود العدد الكبير من العبقريات في الثقافة الإسلامية» (روجيه، الإسلام في الغرب، قرطبة عاصمة العالم والفكر، 1995).

ويستهدف العلم في الإسلام إلى بناء شخصية الفرد دون إحداث أي خلل، وبعيدا عن الازدواجية الإبتيمية التي تخلق حالة من الشيزوفرنيا، وجل ذلك انطلاقا من فكرة الوجدانية «وهكذا يكون الانتقال من الجامع إلى المدرسة من دون انقطاع، حيث يبقى تعليم وحدانية الله، ووحدة الطبيعة هي الأساس لكل معرفة. العلم واحد لأن العالم واحد، والعالم هو واحد لأن الله واحد. هذا المبدأ التوحيدي يوجه جميع آفاق العلوم» (روجيه، الإسلام في الغرب، قرطبة عاصمة العالم والفكر، 1995).

العقيدة الإسلامية لها حضور مدخلي في تشكيل وبناء المعارف، خاصة في الجانب المنهجي (الميثودولوجي)، فالعقيدة الإسلامية، هي عبارة عن رؤية للعالم تقبّع خلف أيّ توجّه معرفي قبل صياغة علميّة، «إنّ حكمة العقيدة تدمج كافة العلوم في المجموع عضوي، لأنّ موضوعها جميعها

عالم هو في جملته (تيوفاني Théophanie) تجلّى لآيات الله، ففي الكون يظهر الواحد الأحد من خلال الكثرة بألف رمز» (روجيه، الإسلام في الغرب، قرطبة عاصمة العالم والفكر، 1995).

4. مبررات الحديث عن التكامل:

إن الناظر في تاريخ تشكل العلم الحديث، نشأة في ظل النموذج التجريبي الذي يُعلي من شأن التجريب، وكأنه الرائد الوحيد الذي يوصلنا إلى العلم الحقيقي، وخاصة ما قدمه هذا الأخير من إمكان ويسر للحياة الإنسانية، 'فالإنسان البرومثيوسي وآلاته، كانت شعارات طليعة للدعوة، والتحول إلى الدين الجديد... جعل الأرض كلها حديقة غناء، إذا ما أعلن الحرب على الرّب، وحينما بدأ الجرار الآلي بالظهور، وصف بأنّه يستحق الصلوات واستخدام في ملصقات تظهره في صراع مع الصليب، وكانت سكة الحديد رمزا مؤثرا آخر قبل الثورة. فقد صوّر معارضو الحداثة سكة الحديد تسد الطريق أمام المسيرات المؤمنة، فهي رمز شر حسبما ورد في الاستعارات الأدبية، أما بعد الثورة كان القطار... بما يحمله من أخبار حسنة عن الكون الذي لا رب له، رمزا آخر لتلك النظرة، فكانت إحدى هذه السكك الحديدية، تسمى الخط الذي لا رب له" (أوغلو، 2000). هذا الوصف لِبُدْءِة بروز الرؤية الجديدة للعلم، فالعلم الحديث قد أوجد تصورات جديدة، وتغيرت الرؤية إلى العالم إلى رؤية تَقَسّ العلم. واستقل العلم عن الفلسفة فلم يعد العلم متعلقا في بحثه وموضوعاته عن الميتا فيزيقا والإجابة عن تساؤلاتها التي كان يرى أن البحث فيها لم يقدم للإنسان أية فائدة. ووضعت حدود لها، وهنا بدأ الفصل بين العلم والفلسفة، وكذا الانفصال تعدى إلى كل فروع المعرفة المختلفة، حتى كُرست هذه الرؤية في العلوم الإنسانية، فقد "كان أول مبدأ ابستيمي انعكس في العلوم الاجتماعية هو مبدأ الفصل بين الظواهر على مستوى الوجود الاجتماعي؛ فاهتم كل تخصص معرفي بدراسة ظاهرة إنسانية معينة: سياسية، اجتماعية، أو اقتصادية، أو ثقافية، أو تربوية. وإذا ما رجعنا إلى السياقات التاريخية، فإننا نجد أن تجزئة المعرفة في العلوم الاجتماعية تمت بعد الثورة الصناعية، حينها تبلورت مجموعة من التخصصات المعرفية، لتتسجم مع عملية التقسيم الاجتماعي للعمل في المؤسسات. ولذلك، نجد منذ ذلك الحين العديد من النظريات والمعارف المجزأة؛ ولا تزال هذه التجزئة المعرفية مستمرة إلى يومنا هذا، إذ نعثر داخل التخصص الواحد على عشرات التخصصات الفرعية" (بوعزيزي، ب ت)

إن جُلّ هذه التصورات انعكست على المناهج التعليمية، في جميع الاطوار التعليمية، معلنة على أزمة في التعليم، وتكوين شخصية الفرد، ذلك أن كل المناهج التعليمية تمتلك رؤية تربص خلفها، موجهة للفعل التعليمي، وتتطلع الى الفرد التي تريده عبر سنوات من التعليم.

لنا أن نفسح المجال لخيالنا، حول تصور شخصية مثقف أو فرد تخرج ودرس في ظل هذه المناهج التعليمية، حقا إن مُخرجات هذه المناهج لن تكون حقا مقبولة، إننا نستطيع أن نصلح على ذلك المُنتج بالإنسان المبستر، أي الغير مُكتمل، فكريا ونفسيا، وثقافيا...حتى جنت تلك المنهجية التعليمية حتى من يملك مستويات علمية عليا، وقد لمست ذلك جليا من خلال تلك النقاشات السياسية والفكرية التي كانت زمن ما يصطلح عليه الحراك الشعبي، عن ذلك البون الشاسع والشرح الكبير في التكوين الثقافي لدى كثير ممن يحسبون على الساحة الإعلامية بالمتقنين، كاشفة تلك المُماحكات عن اضمحلال وضمور فكري في معالجة كذا قضية فكرية، كمسألة الهوية التي دائما ما تطفو إلى السطح الاجتماعي، حيث كانت تلك المقاربات تكتسي ثوب القومية تارة، وتارة مقارنة عنصرية عرقية، من غير أن نعثر على مقارنة متكاملة، تُجلي تلك المقاربات عن ضعف بين في الرؤية المعرفية لدى أصحابها.

بعد الفحص والتعمق في فهم تلك الرؤى، يتضح لنا جليا أن التكوين المعرفي يُنمي عن نقص في توحيد الرؤية وضبطها وفق منظار متكامل، فلا يمكن البتة أن نقارب المسائل الكيفية الإنسانية والاجتماعية، من زاوية كمية. أن سبب هذا الخلط في العموم مرجعه إلى فقدان المنهجية في بناء التكامل الثقافي لدى الفرد المثقف.

5. مفهوم التكامل الثقافي:

ورد في ضبط مفهوم التكامل الثقافي؛ بأنه عبارة عن ظاهرة اجتماعية ثقافية؛ جاءت كمظهر أو كنتيجة "للتفاعل والتوافق في الأنماط الثقافية مع النظم القائمة في المجتمع، فعندما تتوافق هذه الانماط والنظم معا لينتج عنها الشكل التكاملي، وفي هذه الحالة تتصهر عناصره الثقافية بعضها مع بعض لينتج عنها الشكل التكاملي، والذي يؤدي إلى سيادة ثقافة عامة في المجتمع تقلل من حدة التنوع الثقافي، ومن هنا فإذا عمل عنصر ثقافي منفردا ومستقلا عن باقي العناصر الثقافية

الأخرى فإن الأثر الكبير هو الاتجاه نحو الانفصال والتفكك" (عبدالسلام و بن عبدالعزيز الشريدة، 2020)، نخلص من ذلك أن التكامل الثقافي يحفظ كيان الفرد ثم الأمة من التفكك والانحلال، وذلك عن طريق دمج العناصر الوافدة في وحدة متكاملة، تظهر كنسق ثقافي موحد، لكن كل ذلك لن يتحقق إلا في محافظة المجتمع على قيمه التقليدية، حتى يكون له شخصية مستقلة لا تتمحي هويته في المكون الثقافي الوافد، ولذلك " يظهر التكامل الثقافي بصورة جلية في المجتمعات البسيطة، والمجتمعات المنعزلة، حيث يندر وجود عناصر خارجية في ثقافات تلك المجتمعات، كما أن العناصر الأصلية لا تتغير بسرعة، أما في ثقافات المجتمعات المركبة الغير متجانسة فالتكامل لا يظهر بشكل واضح، حيث نجد أن عناصرها الأصلية تتغير باستمرار" (كحط الربيعي و الانصاري، 2015)

6. أدوات التكامل الثقافي:

لتكريس ثقافة التكامل استلزم اتخاذ بعض الأدوات الإجرائية يمكن أن نجملها فيما يلي :

1.6. نحو وعي تعليمي ثقافي:

حتى يكون للتكامل الثقافي حضور في الأوساط المثقفة، فإننا نحتاج إلى وعي تعليمي، أو منهجية تعليمية، تقوم على حسن اختيار المواد التدريسية، لذلك تُعد المداخل التكاملية" نمط من أنماط التعلم العابر للتخصصات، يقوم المتعلمون من خلاله باستقصاء المعرفة واكتشافها من خلال المواد الدراسية المختلفة، لفهم موضوع أو قضية ترتبط بأحد جوانب البيئة المحيطة بهم. بما يمكنهم من اكتساب المعارف والمهارات اللازمة، وتطبيقها في مجالات أخرى. كما يعرف على أنه أسلوب في التعلم، يتم من خلاله المزج بين العناصر المختلفة للتخصصات الدراسية، من خلال أنماط ذات مغزى، للتركيز على مفاهيم أشمل وأعم، وهكذا فإنه ينظر إلى عملية التعليم والتعلم بوصفها طريقة كلية في تناول المعارف، تعكس ما يختص به العالم الحقيقي من تعقد ودينامية وتشابك" (ت، 2022).

2.6. القيم الاجتماعية المثبتة:

حتى يكون للوعي التعليمي أثر على واقع الأفراد يلزم أن تكون هناك رؤية ووحدة روحانية كلية شاملة، ونقصد بذلك تفعيل القيم التقليدية ذات البعد الروحي، إذ لا يخلو مجتمع من المجتمعات من هذه القيم، وفي المقابل لابد من تزييف وتحديد القيم الزائفة التي تُنكص القيم التقليدية، لذلك وجب "محاربة القيم الاجتماعية المعوقة لطاقات الابداع والانتاج والابتكار، وليس لها جذور حضارية مشتركة، وبذل جهود صادقة مشتركة في اشاعة حب العمل" (حسن، 1984).

3.6. حاجة التكامل الثقافي إلى تربية تكاملية:

إن الرؤية التكاملية للثقافة مَحْوَجَة أيضا إلى أساليب تربية ليتكامل الفعل التربوي مع أهدافه التي يسعى لتحقيقها، فإنه يلزمنا بعض التنبيهات التي ننظر إليها هنا:
أ-علينا أن ننظر إلى الانسان ككائن عضوي فعّال مترابط مع الكون كله...فهو مترابط ومتفاعل مع كل، فعليه أن يعي الوحدة والعقد الموجودين في النظام الكوني فرؤية الكل إذن تصبح المبدأ الأول في المفهومة التربوية الجديدة.

ب- الكون كله بما في ذلك الكرة الارضية وعليها الانسان هو عرضة للتطور والتغير، فالكُل ليس ساكنا بل حراكيا على الدوام، وتطور الانسان ماديا يصاحبه تطوره الفكري الخلاق.

ج- الفعل التربوي المتكامل ينبغي أن يؤسس على الدوافع الفطرية للإنسان وأن يحتوي على النواحي الفكرية والعاطفية والإرادية لسلوك الإنسان (الجمالي، 1978).

7. المفهوم التكاملي للثقافة:

اشترط بعض المفكرين عدة شروط حتى يتحقق معنى الحقيقي للثقافة المتكاملة، ولذلك نعد منها مايلي (أسعد، 1985):

- 1-حصر الرؤية الارستقراطية للمعرفة: حتى يتحقق مفهوم واسع لمعنى الثقافة "بحيث يتسنى تحقيقه في قوام الشخص العادي إذا أراد لنفسه أن يكون شخصية مثقفة، ذلك أن الثقافة يجب أن تكون متاحة لقطاع كبير من الناس، وألا تستحوذ عليها قلة قليلة منهم، أو بعض العباقرة الأفذاذ فحسب".
- 2-لا بد أن يكون مفهومنا للثقافة أيضا "متسعا شاملا لأنحاء الشخصية وللمناشط الإنسانية، ذلك أن تضيق مضمون الثقافة بحيث يقتصر على الجانب المعرفي فيه، واغفال لباقي مقومات الشخصية".

- 3- وكذلك لابد من " أن يكون متعلقا بالكيف لا بالكم، وبطريقة العمل وليس بالعمل نفسه".
- 4-وجب أن يكون مفهومنا للثقافة " خاليا من التحيز الذي ينحو إليه الأدباء والفلاسفة وكل من لا هم لهم سوى التعبير عن مفاهيم المجردة، وقد أخذوا ينظرون إلى الواقع العملي بشيء من التعالي".
- 5-ينبغي أيضا أن " تلتقي فيه التخصصات العلمية والتقنية والنظرية، وهذا يعني أن للثقافة التكاملية أبوابا عديدة يمكن أن يدخل منها المرء إلى رحابها".

8.معوقات التكامل الثقافي في العالم العربي أو الآليات الإجرائية لمواجهة التخریب الثقافي:

يُعد التخریب الغير مباشر أحد الوسائل التي تقف مانعا لتحقيق نوعا من الثقافة التكاملية، لا سيما في المجتمعات التي تعرضت من قبل للغزو الاستعماري، ومن أجلي مظاهر ذلك التخریب ما يعرف " بالاستتباع الثقافي الذي يحرمها من حق الابداع المستقل؛ والثاني التخریب الثقافي الذي يحرمها من حق الاسهام في تشكيل الثقافة الكونية، والثالث التتميط الثقافي الذي يحرمها من حق التمتع بالخصوصية الثقافية؛ والرابع التلبیس الأخلاقي الذي يحرمها من حق التمسك بالقيم الروحية والأخلاقية الخاصة بها"(الرحمان، 2005).

لا بد هنا أن نركز على إصلاح الرؤية إلى العالم، ونقصد هنا بالتحديد أنه لابد أن تُبنى تلك المنظومات المعرفية، على القيم التقليدية، أي أن المناهج مستوحاة من روحها القيمية، لأن كل استدعاء أي موروث ثقافي غير محلي، من غير مراعاة لجانب الحكمة في توظيفها، سيعود عليها بالضرر ، وعليه "فلكي تتمكن هذه الأمة من أن تدفع عنها هذه المفاصد الثقافية والقيمية، فإنها تحتاج إلى الاشتغال بتنقيف الواقع الكوني على مقتضى العقل الملّكي المؤسس على العقل الملّكوتي بقدر ما تحتاج إلى أن تجدد تنقيف نفسها؛ ويستلزم تنقيفها لهذا الواقع أن تتوسل بمجموعة من القيم الأساسية، اثنتان تدفعان عنها الاستتباع، وهما التحرر الثقافي والتكافؤ الثقافي؛ واثنتان تدفعان عنها التتميط وهما: التعارف الثقافي والتكامل الثقافي، وأخيرا اثنتان تدفعان عنها التلبیس هما تخليق الثقافة وتدين الثقافة، كل ذلك يدعو إلى المبادرة بترسيخ التداخل الثقافي بين شعوب الأمة المسلمة عن طريق إيجاد فضاء ثقافي قوامه مؤسسات علمية وقنوات فضائية مشتركة تضاهي، في مستواها المعرفي والتقني، المؤسسات العلمية والقنوات الفضائية لأولئك الذين يتوجه إليهم هذا التنقيف"(الرحمان، 2005).

9. مسألة الهوية والتخريب الثقافي المُنهج أو من الانسان النصف إلى الإنسان المُبتسَر:

إذا أمكننا أن نستعير مصطلح الانسان النصف، للمفكر مالك بن نبي، والذي يقصد به ذلك الإنسان الذي يقوم بإجهاض كل محاولات التقدم والنهضة، فإن الإنسان النصف هو ذلك الشخص الغير مكتمل، والغير قابل لأن يصنع الحضارة، لأنه قد ناله من التخريب في هويته ما ناله، فألت شخصيته للانحدار الثقافي بسبب فقدته لثقافة التكامل، وعليه "تهدف الحداثة بصورة واعية إلى القضاء على الهويات ما قبل الحداثية وتحطيمها، ويقوم برنامجها على قلب مدرّوس ومنهجي للنسب الموجودة في المجتمع التقليدي والحداثة تقترح منظومة هوياتية خاصة بها...تم تهميش مؤسسة الأديان التقليدية، إذ تقوم الحداثة بتعزيز وتوطيد قيم المدنية والعلمانية تمنح الأديان مكاناً هامشياً في المجتمع، وتتحوّل من عامل فعّال في تنظيم الهوية الجمعية إلى مسألة شخصية بالنسبة إلى كلّ فرد من دون ان يكون لها أدنى تأثير على بنية الكلّ المجتمعي. وهذا ما تصرّ وتؤكد العلمانية أو الدنيوية بمنتهى الصراحة والوضوح"(دوغين، 2022)

آلية أخرى للتخريب "حركة الاستشراق على مدى أكثر من قرن أن تقوم بوظيفة المبرهن على أن الحياة العقلية العربية لا تمثل جزءاً من الحياة العقلية الرفيعة للإنسانية، وقد قامت هذه الحركة بجهودها في غياب المنهجية العلمية في مناقشة التراث العربي إلى درجة أن وصمت حركة الاستشراق بمجملها بالتعصب والتأمر المعمم على الموروث العربي. والحقيقة أن هذه الوصمة كان مردّها دوماً غياب هذه المنهجية العلمية."(اسماعيل، 1981)

10. أزمة التعليم والتخريب الثقافي:

إن الجزء المهم والأساس لإرساء ثقافة التكامل المعرفي، يقحمنا للحديث عن التعليم وضرورته المهمة في بناء نظام معرفي متكامل وجاد، يسهم في تحديد الرؤية للفرد والمجتمع، أي أن المدخل هو بوابة التعليم كأداة إجرائية لهذه العملية، لكن الجهود المعاكسة تمنع تحقيق ذلك، مما يحتم علينا معرفة بواطن تلك الجهود وكشف زيفها، فقد تم في الغالب إلى "تفريغ التعليم من محتواه، بالتركيز على إعداد جيل محدود من الموظفين...وعمل في إصرار على إضعاف اللغة العربية،

والتهوين من أمرها، وتحقير شأن القائمين عليها، وأثار حولها الزوابع والأعاصير، بأنها لغة معقدة، عقبة في طريق الرقي، وإن من الخير أن يتخذوا العامية لسانا، ولم يقل لنا أي عامية نتكلم، لأن شعنا غارقا في الأمية تتعدد عاميته ولهجاته، وتتطور بقدر ما يرتفع مستوى الثقافة، وتبعا للبيئات والمستويات التي تتكلمها" (مكي، 1984). إذا طرحنا السؤال الآتي: ما السبيل إلى إرساء منهجية التكامل الثقافي على صعيد مؤسسات التعليمية وخاصة الجامعية؟ سيكون الجواب من وجهة نظرنا سهلا بسيطا بقدر ما يظهر للمتلقي أنه غير ذلك، وعليه نؤكد الجواب الذي ندونه هنا وهو أن أول خطوة لتحقيق ذلك المطلب هو الاهتمام الحقيقي وباللغة العربية باعتبارها اللغة الوطنية في التعليم، فلا يمكننا إرساء أي نهضة معرفية متكاملة خارج اللغة، لأن " أثار اللغة تتجاوز آثار اللغة مجالات التربية والثقافة والادب إلى مجالات السياسية والاقتصادية والتقنية وحتى العسكرية، ولم يكن انتشار اللغة وتغلغلها في شتى النشاطات الاجتماعية في يوم من الأيام كما الآن، بفضل التقدم الهائل في تكنولوجيا المعلومات، فقد أصبحت اللغة في موضع الصدارة، فهي أهم مقومات ذكاء الإنسان محور هذا التقدم" (مكي، اللغة العربية وهمومها، 2005).

11. مفهوم العلوم البينية:

العلوم البينية هي عبارة عن " رؤية جديدة للعلم في زمن العولمة. لأنها تفيد ترابط العلوم والمعارف في ما بينها، إنها اشبه بالتفكير النسقي، القائم على مبدأ أن الأجزاء مترابطة في ما بينها بعلاقات معينة، حيث تكون العلاقات أهم من الأجزاء ... وقد ظهر مصطلح العلوم البينية في نهاية الستينات من القرن العشرين من خلال جهود عديد العلماء والتيارات الفكرية وخاصة في النزعة البنيوية عموما والبنيوية التكوينية التي أسسها عالم النفس جان بياجى ، الذي دعا إلى ضرورة اعتماد العلوم البينية، بوصفه تعبيرا عن التعاون بين الفروع المعرفية المختلفة وخاصة في مجال التربية والتعليم، ثم أصبحت مع الوقت، تشكل أحد الإمكانيات الأساسية لتجديد المعرفة الإنسانية" (بغورة، 2008)، نستفيد من هذا المفهوم أن العلوم البينية هي بمثابة جسور وقناطر عبور المثقف إلى حقول معرفية خارج التخصص، بغرض أن يكون رؤية كلية عامة وشاملة عن الموقف الذي يصدر عن، مبتعدا عن جملة التحيزات والمواقف المشوهة التي يميلها عليه تخصصه. فهي

تسعى ايضا إلى مقارنة العلوم والمعارف بين بعضها البعض، كما تزوم فضلا عن ذلك إلى اعادة ترتيبها وهيكلتها، وفق نسق عام متكاتف ومتراط، كما توضح " أن الحدود التي رسمتها الفروع المعرفية الأخرى، وكذلك بالنسبة إلى المشاكل التي تعالجها من هنا فإن الفكر المفرط في التخصص hyperdisciplinaire يحمل مخاطر ليس أقلها تحويل الفكر إلى ملكية خاصة يمنع حركة غريبة من مجاله. من هنا فإن النفتح على بقية الفروع المعرفية الأخرى، أصبح أمرا ضروريا".(بغورة، 2008)

12. الحاجة إلى العلوم البيئية:

من الملفت للانتباه أن الحقول المتخصصة في المعرفة، كالدراسات الإيستمولوجيا وميثودولوجيا (علم المناهج) المعرفة، ترغب دوما في البحث عن الرؤية الأصوب والأكمل في بث العلم والمعرفة وهو ما أكدته من خلال البحث عن حقول جديدة تسعى من خلالها من دمج وإدناء البون بين الفروع المتكثرة، " فما من شك في أن للدراسات البيئية موقعا مهما في النظر إلى العلوم نظرة كلية شاملة لاسيما بعد تجزئة العلوم بشكل كبير جدا بداعي التخصصية، إذ برزت الحاجة إلى تعاون العلوم لتفسير الظواهر الانسانية والاجتماعية خاصة، لا سيما أن المنهج الأحادي في تفسير الظواهر يعاني من عجز كبير في الإقناع؛ لأنه ينظر من زاوية واحدة، دون مراعاة خصيصة التعقيد والتركيب في الظاهر محل الدراسة، ومن القدم كان الحكماء والعلماء يتحدثون عن التكامل بين النظر والعمل. وأكد ابن رشد إمكانية الاتصال بين الحكمة والشرعية...وظهرت في مطلع القرن العشرين حاجة الفيزياء إلى الرياضيات، وحاجة البيولوجيا إلى الكيمياء، فظهرت العلوم البيئية التي تؤكد اعتماد التطور والتقدم في علم من العلوم على علم آخر أو علوم أخرى"(عكاشة، 2019)

لذلك كانت تلك الخطو الإجرائية في الميدان الواقعي عن طريق البحث وإيجاد شبكة من المختصين "لعمل على تكوين كوادر في العلوم البيئية، والمتعددة التخصصات، والعابرة للتخصص، وذلك بفتح شعب طلابية للتخصصات البيئية وغيرها سواء من التخصصات العلمية المتواجدة داخل الكلية او داخل الجامعة كما ينبغي التركيز على زيادة البعثات للجامعات العربية للتعلم في تلك الميادين"(الزنفلي، 2013)

13. أهمية العلوم المعرفية في تكوين الشخصية العلمية المتكاملة :

الباحث الأكاديمي اليوم يصعب عليه أن يحيط بالمعارف المتنوعة والكثيفة، لكن الواقع العلمي يُلزمه بأن تكون له معارف في شتى التخصصات، و الوقت اللازم للمطالعة وقراءة الأدبيات في مجال خارج تخصصه يمكن أن تكون صعبة التحقق، واستثمار الوقت الإضافي لتحقيق ذلك في مجال آخر يمكن أن تكون مستحيلة، لكن من وجهة نظر بعض خبراء المعرفة هناك استراتيجية مهمة وذكية لتحقيق ذلك عبر ما اصطلح عليه بالعلوم المعرفية (Cognitive Science) " فإن العلم المعرفي قديم قدم الانعكاسات الفلسفية حول طبيعة وهذا يعود على الأقل إلى أفلاطون وأرسطو. فلاسفة مثل فرانسيس بيكون ، قام جون لوك وديفيد هيوم وإيمانويل كانط وجون ستيوارت ميل بتوليد أفكار حول محتويات وعمليات التفكير . "

ويعرف العلم المعرفي بأنه عبارة عن تلك " الدراسة المتعددة التخصصات للعقل والذكاء، احتضان. علم النفس وعلم الأعصاب واللغويات والفلسفة والأنثروبولوجيا والتّمنّجة الحاسوبية. (الذكاء الاصطناعي). لها العديد من التطبيقات العملية، بما في ذلك التعليم، الذكي. والتفاعل بين الإنسان والآلة والتصميم والإدارة والأمراض العقلية. العقل. معقدة للغاية بحيث لا يمكن فهمها باستخدام أفكار وأساليب من تخصص واحد فقط، لذلك فإن التعاون متعدد التخصصات أمر بالغ الأهمية بالنسبة للتجارب النظرية والتجريبية والعملية لإحراز التقدم." (FRODEMAN، 2017)

14. خاتمة:

نخلص مما تقدم أن التكامل المعرفي قبل أن يكون أداة إجرائية منهجية، هو بالأساس ثقافة، وخريطة إدراكية نابعة من الرؤية إلى العالم، فإدراك أن الحكمة المبتوثة في نفوس الخلق، و تعددها بحسب التخصصات والمعارف يلهمنا إلى البحث عن الخيط الناظم لها، من ثمة توحيد العلوم، وجعلها متناسقة مع بعضها البعض، ونبتعد عن النظرة التجزئية لها، مدركين إدراكا عمليا لأهمية التعاون العلوم بين بعضها البعض.

فعن طريق إصلاح المناهج التعليمية، والاختيار الأمثل للمواد التثقيفية التي تتبع الطالب من مراحل التعلم الأولى إلى حقل الدراسات العليا جدير جدا أن يحقق لنا تداخلا بين المعارف، خاصة إذا تضمنت البرامج التعليمية فلسفة تعليمية تركز لثقافة التكامل المعرفي.

وما الإجراء المنهجي الجديد الذي أرسته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر من تعميم دراسة الفلسفة بالنسبة للدراسات العليا، وجعلها مادة مهمة لدليل على صوابية الرؤية التي تمنحنا حقا تصورا لتحقيق منهجية التكامل العلوم في عدة معارف خارج التخصص واحد.

كما نود التنبيه هنا أيضا إلى أهمية المنهاج التعليمية في الجامعات، التي يقتضي أن تحتوي على مواد تدريسية، خارج حقل الدراسة المتخصصة، وكمثال على ذلك ضرورة تدريس مقياس تاريخ العلوم بجدية تامة في جميع التخصصات، ومنحه قيمة المعامل المؤثر على نجاح الطالب، بالإضافة إلى ابستمولوجيا العلوم الإنسانية في جميع التخصصات الجامعية، إذ يعتبر هاذين المقياسين - تاريخ العلوم، وابستمولوجيا العلوم - من وجهة نظرنا لهما القدرة على تقريب وإدناء المعارف مع بعضها البعض، وإلغاء الرؤية الأحادية للمعرفة.

15. قائمة المراجع:

- ROBERT FRODEMAN. (2017). *The Oxford Handbook of INTERDISCIPLINARITY* (الإصدار 2). Oxford University Press.
- أحمد داود أوغلو. (2000). النماذج المعرفية الإسلامية والغربية، تحليل مقارن. مجلة /إسلامية المعرفة (22)، 26-27.
- أحمد محمود الزنفلي. (2013). *التخطيط الاستراتيجي للتعليم الجامعي* (الإصدار 1). القاهرة مصر: مكتبة الانجلو المصرية.
- الطاهر مكي. (2005). اللغة العربية وهمومها.. مجلة الهلال (5)، 78.
- الطاهر مكي. (1984). مقالات الاستعمار والتخريب الثقافي. مجلة أدب ونقد (2)، 26.
- العبادي عبد الله حسن. (1984). استراتيجية التكامل الثقافي في منطقة الخليج العربي. مجلة العربي (312)، 26.

- ألكسندر دوغين. (2022). *الجغرافيا السياسية لما بعد الحداثة، عصر الإمبرطوريات الجديدة* (الإصدار 1). (ابراهيم استنبولي، المترجمون) بيروت لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- ب ت. (2022). التكامل بين مواد الدراسة. *مجلة مستقبلات تربوية*، 7 (5)، 71.
- رائد عكاشة. (2019). أهمية الدراسات البينية بالنهوض الأكاديمي في دراسة الفن وفق التفكير المقاصدي. *إسلامية المعرفة* (96)، 118.
- زواوي بغورة. (2008). العلوم البينية ودورها في الإصلاح التربوي والتجديد الحضاري مقارنة "إدجار موران". *مجلة فصول* (72)، 35.
- طارق الصادق عبدالسلام، و خالد بن عبدالعزيز الشريدة. (2020). مقدمة في علم الاجتماع (الإصدار 1). عمان الاردن: دار الجنان للنشر والتوزيع.
- طه عبد الرحمان. (2005). *الحق الاسلامي في الاختلاف الفكري* (الإصدار 1). دار البيضاء ، المغرب: المركز الثقافي.
- عبد الحليم مهور باشة. (2021). *التكامل المعرفي بين العلوم الاجتماعية، نحو طرح إبستمولوجي بديل* (الإصدار 1). بيروت لبنان: منتدى المعارف.
- غارودي روجيه. (1995). *الإسلام في الغرب، قرطبة عاصمة العالم والفكر* (الإصدار 1). (ذوقان قرقوط، المترجمون) دمشق سوريا: دار دمشق.
- محمد الفاضل الجمالي. (1978). *التربية التكاملية معناها ومداها*. *مجلة الفكر* (9)، 32-33.
- محمد سويف، و مراد رائد يوسف. (1966). *المنهج التكاملي*. *مجلة الفكر المعاصر* (21).
- محمد كحط الربيعي، و حسين الانصاري. (2015). *الدور الثقافي للفنون الفضائية العربية* (الإصدار 1). عمان الاردن: مركز الكتاب الأكاديمي.
- محي الدين اسماعيل. (1981). *تحديات التخریب في حياتنا الثقافية*. *مجلة الآداب* (11-12)، 53.
- مراد ديانى ومحسن بوعزيزي. (ب ت). *مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية: الجزء الثاني: مقاربات اجتماعية* (الإصدار 1، المجلد 1). الدوحة قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

معن زيادة. (د ت). الموسوعة الفلسفية العربية (الإصدار 1، المجلد 1). بيروت لبنان: معهد الانماء العربي.

يوسف مراد. (1960). المذهب التكاملي. المجلة (39)، 41.

يوسف ميخائيل أسعد. (1985). المفهوم التكاملي للثقافة. مجلة القاهرة (34)، 2-3.